بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٤١/١٢/١٠

الفرحُ الحق وفسحةُ الدِّين[١]

الحمد لله...

تقلب الأيام:

للأيام أفول وانصراف، كما للشمس شروق وغروب وانكفاف، وتمضي الأيام على محور الإنسان، وتتقلب صروفُ الدهر في هذه الحياة بإذن الله، وليس للإنسان منها إلا ما رسمه الكاتبان، وخطه الملكان.

فماذا جعل الإسلام في أيام السنة مما يُبعد الكلل، ويطرد السآمة والملل، ويحيي في النفوس التفاؤل والأمل، ويعين على نوائب الحق؟

ماذا جعل الإسلام من دوحة الفرحة، ورياض التسامح ونشر البسمة بين أطياف المجتمع: المسلم والمسالم؟

---

(١) في هذا اليوم وافق يومُ الجمعة يومَ العيد.

الفرح الحق:

في شريعة الإسلام: جعل لك مولاك ما تطمئن إليه نفسُك، ويسكن إليه فؤادُك، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨ ، فهنيئًا لك ما قدمته نفسُك من عبادة: صلاة وقيام، وذكرٍ وتعبدٍ بصيام، وانشراح قلبٍ برجوع واستغفار، فمجوع ذلك هو الأنس، وكل ذلك هو القرار.

في شريعة الإسلام: تتجدد ألطاف السعادة، وترتسم لحظاتُ انشراح الصدور، ويأمر الله بالفرح الحق، فلا فرح أسمى، ولا بسمة أبهج، ولا سعادة أعلى من فرحٍ كان سبَبَه فلاحُ الدنيا والآخرة: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ يونس: ٥٨، "فإن الإسلام الذي دعا الله إليه، والقرآن الذي أنزله على الناس، خيرٌ مما يجمع الناس من حُطَام الدنيا وأموالها وكنوزها" [1].

---

(١) جامع البيان، للطبري (١٥/١٠٥)، بتصرف يسير.

في ديننا فسحة، وصورة من فرحه ﷺ:

بوب البخاري في صحيحه: "باب سنة العيدين في الإسلام"، وروى عن عائشة قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: "يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا"، وعند مسلم أنه ﷺ قال: "دونكم يا بني أَرْفِدَة"، وعند أحمد أنه ﷺ قال: "لتعلم يهود أن في ديننا فسحة".

نعم. صدق وهو الصادق المصدوق ﷺ:" في ديننا فسحة "، فكان ﷺ يحثهم على هذا اللعب في أيام العيد الذي هم فيه، ويقول:" يا بني أَرْفِدة-وهو لقبٌ للحبشة- عليكم بهذا اللعب الذي أنتم فيه "[1].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٨٦/٦).

وسطية الإسلام بين المتصوفة وبين أهل المجون:

وفي قول عائشة: "جاريتان من جواري الأنصار تغنيان، قالت: وليستا بمغنيتين" أي: "ليستا ممن يَعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بالفحش، وهذا منها تحرز عن الغناء الذي يُحرِّك الساكن، ويبعث الكامن، مما فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة"(١).

ففي قول عائشة: "وليستا بمغنيتين": ردٌّ على المتصوفة الذين تعبدوا الله بالرقص كرقص النساء، ووثوب كوثوب المجانين والصبيان، وجعلوا ذلك: "من باب القُرَب وصالح الأعمال! وهذا على التحقيق من آثار الزندقة وقول أهل المَخْرَفة"(٢).

وفي قول عائشة: "وليستا بمغنيتين": ردٌّ على أهل المجون والفسق من كان يتغنى "بتمتطيط، وتكسُّر،

---

(٢) كلام القرطبي نقلاً عن ابن حجر في الفتح (٢/٤٤٢)، بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق.

وتهييج، وحركات مثيرة، وبغناء فيه تعريض بالفواحش أو تصريح بها، أو ذكر الهوى والمفاتن، فهذا وأمثاله من الغناء لا يُختلف في تحريمه؛ لأنه مطية الزنا وأحبولة الشيطان"(١)

فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيرًا من خلقه، فإن أساس العافية هي عافية الدين، وأعظمُ سلامةٍ للمرء أن يسلم في إسلامه عن الشرك والخرافات والبدع، والمنكرات والفتن والشهوات.

فافرحوا بالعيد، والبسوا من الثوب الجديد، والهجوا بشكر رب العبيد﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ إبراهيم: ٧

فاللهم فقهًا في دينك، وسدادًا لمعرفة طريقك، وعافيتك ومعافاتك في الدنيا والآخرة.

---

(٢) تعليق مصطفى البغا على البخاري.

الخطبة الثانية:

الحمد لله...

العيد بين الأمس واليوم، واستمرار الجائحة:

عباد الله. تأملوا أحوالكم اليوم، وقارنوها كيف كانت وعيدِ الأمس:

بالأمس عاش على هذه الأرض الألوف، واليوم غادر منها بسبب الجائحة العشرات والألوف.

بالأمس تقاربتم، وتصافحتم، وتعانقتم، واليوم تباعدتم، وتكممتم، وتحرزتم.

بالأمس نُقلت البضائع حول البلدان، وتجولت الطائرات عبر القارات والأقاليم، واليوم تُغلق أكثرُ الحدود، ويُمنَع أكثرُ عمّار الأرض عن رحلات السماء.

بالأمس حج الملايين، واليوم تَخْلُو المناسك من المتعبدين إلا قليلاً منكم، ممن اقتضت الحكمةُ وجودَهم.

بالأمس كثيرٌ ينفق ولا يحصي، واليوم تعدُّون، وتحسبون، وتتدخرون.

تأمل كيف كان الناس يأملون، وكيف اليوم يمسحون الأوراق الخمسية والعشرية، ووَقَعَ على كلِّ من عليها قولُ الله العظيم: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ الزمر: ٤٧.

قدرة الخالق المطلقة، ومحدودية الخلق:

فلا إله إلا الله. أي قوة هذه التي غيرت وبدلت ثقافات الدنيا، إلا قوة الله.

ولا إله إلا الله. أي قدرة هذه التي قلبت قوانين الأرض، إلا قدرة الله.

ولا إله إلا الله. أي إرادة هذه التي أزالت الخطط، وبعثرت الرؤى، إلا إرادة الله.

فيا عبدالله. جدير بك أن تعرف حقيقة الدنيا، وكيف أنها في تقلب مستمر، وضعف مستقر، ومخاض زائل، وتغير دائم.

يا عبدالله. جدير بك أن تعرف قَدْرَك، وأيُّ شيء تملك، وأن الحقيقة أنك لا تملك من أمرك شيئًا، فكيف بأمر هذه الأفلاك السماوية، والتدابير الربانية، والتي لا يملك التصرف فيها إلا ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ الشعراء: ٢٤ .

فأكثرْ-يا عبدالله- من قول: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، فإنها إزالةٌ للكروب، وتعويض من الله عن المصائب والخطوب، واستعن على الحوائج واركن في دفع الجوائح بدعاء الله مخلصًا له الدين.

في العيد ابعث التسامح، وأكثر التفاؤل:

يا عبدالله. وأنت في فرحة العيد، أرسل رسائل الصّلة، واطمس ما كان من العداوة والكراهية، وكن خير رسول لسلام الأقارب والأصحاب.

واملأ حياتك بالتفاؤل، وأَبْعِدْ عنك المقت والتشاؤم، فإن الله يقول كما في الحديث القدسي:" أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله "[1].

لا تكسل عن الأضحية وأنت ذو جِدة:

ثم اعلموا عباد الله، أن الذبح لله من أعظم القربات الماليّة، وأنه قرينة الصلاة، وأن الدم يقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، وأن الذبح لله توحيدٌ، وتعظيمٌ، وشعيرةٌ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ الحج: ٣٢

فعجبًا لمرء ملَّكه الله قدرة ومالاً ثم هو عنها ببعيد، مع أنه ينفق القنطار والدينار فيما هو أقل من ذلك.

ولْتعلمْ يا عبدالله أنك بأضحيتك شاركت الحجَّاجَ، وتشبهت بهم، فالحجاج يتقرَّبون إلى الله بذبح الهدايا، وأهلُ البُلدان يتقرَّبون إليه بذبح الضحايا، كما أنك تشبهت

---

(٢) رواه أحمد، ومعناه ثابت في الصحيحين بلفظ:" أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني".

بهم في مسك الأشعار والأبشار عن التقصير أو الحلق لما نوت الأضحية أوّلَ العشر، تشبهًا بالحجاج الذي أمسكوا عن ذلك، فنعم المُشبه، ونعم المُشبه به.

تقبل الله منا منكم الأضحيات، وضاعف نوال الطاعات والقربات، وألبسنا وإياكم لباس العفو والعافية في كل عام، وفي مرور كل عيد ما غرد طائر وحام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

كتبه: عاصم بن عبدالله آل حمد